الباب الرابع

تفسير الإعجاز العلمي في الآيات الكونية بعد القسم لزغلول النّجار

١. بحث تحليلي عن التفسير وعلاقته

علم الفلك هو بحث الإنسان منذ أقدام الأزمان في السماء للحصول على إجابات تفسّر سروجودنا، وعن أجوبة الأسرار عالمنا الطبيعي. وقبل اكتشاف المنظار (التيليسكوب) ، وقبل البدء برحلات اكتشاف الفضاء، وقبل التقدم العلمي الحديث. روى لنا القدماء قصصا عن الشمس والقمر والنجوم. فقد اكتشفوا دورة القمر وتفحصوا مواقع النجوم كذلك، ولاحظ الفلكيون الأوائل أيضا أنماط تجمّعات النجوم التي تشبه الحيوانات، والأشخاص، والأشياء أيضاً وقد أصبحت القصص التي رووها لتفسير تلك الأشكال أساطير يتناقلونها جيلا إثر جيل.[١] المجرة كتلة هائلة من النجوم والسدم و من المادة المنتشرة بين النجوم وهناك أنواع ثلاثة من المجرات جرى تصنيفها وفقاً

[١] بول كوباسا، *علم الفلك* (الرياض: العبيكان، ٢٠١٦)، ٤.

لشكلها: المجرات الإهليلجية ذات الشكل البيض و المجرات الحلزونية التي لها أفذرع تلتف لولبياً نحو الخارج انطلاقاً من انتفاخ مركزي واخرات غير المنتظمة التي ليس لها شكل محدد واضح. غير أنّ شكل المجرة قد يتشوه أحياناً من جراء اصطدامها بمجرة أخرى أما الكوازارات فهي أجسام متراصة، شديدة الإضاءة، يعتقد أنها نوئ بحرية. غير أنها بعيدة إلى درجة يصعب معها تحديد ماهيتها بالضبط إذ أنها تقع خارج نطاق الكون المعروف.[٢]

أ. **القسم بالواو**

١. الأرض

المقصود الأرض كوكب من الكواكب التي تدور حول الشمس وتتبعها في سيرها أينما سارت. وهي الكواكب الخَامِس من حيث الحجم، والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة التي تتكون منها المجموعة الشمسية. والأرض تكاد تكون تُرَةً، إلا أنها منبعجة قليلاً عند الاستواء ومفلطحة عند القطبين. ويُقدّر طول قطر الأرض المار بالقطبين (٧٩٠٠) ميل، وقطرها الاستوائي (٩٧٢٧) ميلاً، ومحيط الأرض عند القطبين (٢٤٢٢٠) ميلاً، ومحيطها حول

[٢] يوسف الحاج أحمد، *موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، ٣٠٠.

خط الاستواء (٢٤٩٠٠) ميل هـ ومساحة سطحها (٢٠٠) مليون من الأميال المربعة، ويشغل اليابسة منها نحوا من (٥٠) مليون ميل مربع، والماء حوالي (١٥٠) مليون ميل مربع. وهي تدور بنا حول نفسها مرّة كل أربع وعشرين ساعة، فمن كان في المناطق الحارّة فهو يتحرك بسرعة معدلها ألف ميل في الساعة أو (١٦) ميلاً في الدّقيقة.[٣]

قوله تعالى: وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ.[٤]

كانت سورة الطارق بما في ذلك من سورة مكية آياتها ١٧، نزلت بعد سورة البلد. من المعاني الصحيحة التي فهمما الأولون من القسم القرآني بالأرض ذات الصدع معنى انصداعها عن النبات، أي انشقاقها عنه ولكن لما كانت لفظة الأرض قد جاءت في القرآن الكريم بمعنى التربة التي تغطي صخور اليابسة وبمعنى كتل اليابسة التي نحيا عليها وبمعنى كوكب الأرض كوحدة فلكية محددة،

---

[٣] يوسف الحاج أحمد، *موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (دمشق: مكتبة ابن حجر، ٢٠٠٣)، ٤١٥.

[٤] الطارق/٨٦:١٢

فإن القسم القرآني بالأرض ذات الصدع لا بد أن تكون له دلالة في كل معنى من معاني كلمة الأرض.[٥]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت أن نجده في الشرح التالي: أولا، انصداع التربة عن النبات اي ولولا خاصية انصداع التربة عند نزول الماء عليها أو ربها ما أنبتت الأرض على الإطلاق ومن هنا كان ذلك وجها من أوجه القسم بالأرض ذات الصدع لأهميته البالغة في إعمار الأرض وجعلها صالحة للحياة. ثانيا، تصدع صخور اليابسة اي نتيجة لتعرض صخور قشرة الأرض للإجهادات بالشد أو بالتضاغط تتكسر تلك الصخور بواسطة مجموعات من الفواصل المتوازنة والمتقاطعة على هيئة شقوق في قشرة الارض تمزق صخورها إلى كتل متجاورة دون حدوث قدر ملحوظ من الحركة على جوانب مستويات تلك الشقوق. ثالثا، تصدع الأرض ككوكب واسطة أودية الخسف اي أن أرضا محاطة بشبكة هائلة من تلك الأودية الخسيفة الصدوع العملاقة التي تحيط بالأرض إحاطة كاملة يشبهها العلماء باللحام على كرة التنس، وهذه الصدوع العملاقة التي تمزق قيعان كل محيطات الأرض وقيعان عدد من بحارها (من مثل البحر الأحمر) توجد أيضا على

[٥] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٣١.

اليابسة، وتفعل على تكوين بحار طولية شبيهة بالبحر الأحمر لتفتت اليابسة إلى عدد أكبر من القارات وأشباه القارات.[٦]

ولزغلول النجار أنّ هذه اللفظ ذَاتِ الصَّدْعِ وهنا نرى في صدع الأرض أبعادا ثلاثة : بُعدا لا يتعدى بضعة مليمترات أو بضعة سنتيمترات في انصداع التربة عن النبات، وبعدا آخر في صدوع اليابسة التي تمتد الحركات الأرضية عبر مستوياتها من عشرات السنتيمترات إلى مئات الأمتار، وبعدا ثالثا في الصدوع العملاقة التي تنتشر أساسا في قيعان المحيطات، كما توجد في بعض أجزاء اليابسة على هيئة أغوار أعماقها جدا لتحيط بالأرض إحاطة كاملة على هيئة صدع واحد، ونرى أهمية كل يُعد من هذه الأبعاد في تهيئة الأرض للعمران.

وقال طنطاوي جوهري في تفسيره أنه هذا الماء أثناء دورانه يكون من أسباب الحياة فجعله الله سبباً لنمو النبات وحياة الحيوان والأرض تنشق عن النبات والحيوان يتزاوج، ويكون في كل من الحيوان والنبات ذكور وإناث ، وسبب هذا أن حياتنا فوق الأرض متوقفة على حرارة سماوية ، وعلى مادة أرضية ، فالحرارة فيها قوة الفعل والمادة فيها قوة الانفعال فالحرارة الشمسية أثارت الهواء وأثارت

---

[٦] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٣٣-٤٣٧.

الماء من البحار، وفيها هناك أسرار اوراء ذلك أرسلها الله فكان الذكور والإناث في الحيوان والنبات فالذكور مشابهة للقوة السماوية والإناث مشاكلة للقوة المادية في الأرض وكما كان اتحاد العوامل السماوية والأرضية سبباً من عند الله لوجود هذه الحياة على الأرض، هكذا كان ازدواج الذكورة والأنوثة سبباً من عنده ليكون هناك خلق على شاكلتهما.[٧]

العلاقة في تفسير طنطاوي جوهري أن اللفظ "الصدع" معناه تنشق الارض لأجل تنبت النبات و لأجل يأكل الحيوان ذلك النبات، و لولا صفة الصدع في الارض حينما نزول المطر او جريان الماء لكان الارض لن تنبت أبدا، و ذلك سر الله لماذا لا يجوز اليمين بلفظ السعادة لان المقسم به لتعظيم نفس الشيء في التفسير ما تقدم.

وقال ابن كثير في تفسيره والأرض ذات الصدع قال ابن عباس : هو انصداعها عن النبات.[٨]

---

[٧] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء: الثالث عشر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧١)، ١٢٦.

[٨] عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الجزء الثامن (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ١٩٣٤.

البحوث التي قد فعلت إلى الأن لا يوجد معنى الخصوص.من ذلك اللفظ من مجموعة العربية اينما كانو. لأن هذ اللفظ بمعنى العام.

وسبحان الذي أقسم بالأرض ذات الصدع من قبل ألف وأربعمائة سنة تفخيما لظاهرة من أروع ظواهر الأرض، وأكثرها إبهارا للعلماء، وأشدها لزوما لجعل الأرض كوكبا صالحا للحياة وللعمران، لأنه بدونها لم يكن ممكنا للأرض أن تكون صالحة لذلك، ومن هنا كان القسم القرآني بالأرض ذات الصدع من قبل ألف وأربعمائة سنة، والعلم الكوني لم يصل إلى كشف تلك الحقيقة إلا في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرون العشرين، ولم يكن لأحد في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده إلمام بتلك الحقائق الأرضية أو إدراك الشيء من جوانبها، ولا يمكن لعقل أن يتصور مصدرا لها قبل ألف وأربعمائة من السنين غير الله الخالق سبحانه وتعالى.

٢. السماء

"السماء" اسم مشتق من الفعل" سما" يسمو والسّموّ الأرتفاع والعلو، ومنه سَمَوْتُ وَسَمَيْتُ مثل عَلَوتُ وعليت. وسَمَا الشيء يَسْمُو سُمُوًّا فهو سام: ارتفع، وسما به وأسماه: أعلاه.[٩]

[٩] جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور، *لسان العرب*، الجزء: الرابع عشر، ٣٩٧.

جاء لفظ أو كلمة "السماء" في القرآن الكريم في١٢٠ آية، ووردت في ست آيات في سورة البقرة، وفي خمس آيات في سورة الحج وفي أربع آيات من كل من سورة الأنعام والذاريات، وجاءت كلمة السماء ، في كلّ بداية كل من سور الانشقاق والبروج والطارق.[١٠]

تؤكّد علوم الحديثة أن السماء هو كل ما يغطّى الأرض من جميع جهتها إبتداء من طبقة السماء المسافة ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر فوق سطح الأرض مثل المحيط الهواء الذي يغلف كرة الأرضيّة بعد طبقة الهواء، هناك فارغ من الهواء يدور فيها ملايين مجرات انجذب بين بعضها والتحرك في علاقة كاملة الهدوء في كل مستوى. أنها تتحرك كمبنى قوي أو كسقف مشيد على الأرض. [١١]

قوله تعالى: والسماء ذات الحبك.[١٢]

يستهل ربنا تبارك وتعالى سورة الذاريات بالقسم بعدد من آياته الكونية، الدالة على طلاقة قدرته وكمال علمه وتمام حكمته وشمول سلطانه على أن ما وعد به خلقه من البعث، والحساب هو

---

[١٠]حسن أبو العينين، *من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: مع آيات الله في السماء والأرض في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبعية* (الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥)، ٨١.

[١١]محمد كامل عبد الصمد، *الإعجاز الغلمي في الإسلام: القرآن الكريم* (د.م: دار الكتب الحديثة، ١٩٩٣)، ٤٨.

[١٢]الذريات/٥١: ٧

وعد صادق، وأن الجزاء على ما يفعله العبد في هذه الحياة الدنيا أمر محقق واقع لا فكاك منه ولا مهرب عنه.

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت أن لتلك السماء من الصفات ما يلي: (أ) والسماء ذات الحبك بمعنى شاسعة الاتساع، عظيمة البناء متقنة الخلق والصنعة، هذه الصورة للجزء المدرك من الكون تعكس شيئا عن ضخامة ذلك البناء، ودقة بنائه وشساعة أبعاده، وإتقان صنعته، وروعة خلقه، وإحكام كل جزئية فيه وهي من معاني (حبك) الصنعة، ومن هنا كان وصف السماء بأنها ذات (حُبُك). (ب) أنها ذات ترابط محكم شديد في كل جزئية من جزئياتها. وهنا يتضح جانب من الوصف القرآني للسماء بأنها ذات حبك، أي ذات ترابط محكم شديد يربط بين جميع مكوناتها، من أدق دقائقها وهي اللبنات الأولية في داخل نواة الذرة إلى أكبر وحداتها وهي التجمعات المجرية العظمى إلى كل الكون. (ج) أنها ذات كثافات متباينة في مختلف أجزائها، وتتجسد هذه الصورة في داخل مختلف هيئات تجمع المادة في صفحة السماء من المجموعات النجمية من مثل مجموعتنا الشمسية إلى المجرات إلى التجمعات المجرية العظمى في داخل كل وحدة من تلك الوحدات البانية للسماء الدنيا وبين كل وحدة والوحدات المشابهة لها والأعلى منها رتبة. (د) أنها ذات مدارات

محددة لكل جرم من أجرامها، على الرغم من تعاظم أعدادها واستمرارية سبحها، ومن هنا نفهم من القسم القرآني ب(والسماء ذات الحبك) شمول تلك المدارات المخططة بدقة فائقة بالإضافة إلى روعة البناء، وإحكام الترابط وتباين الكثافات وكلها من معاني هذا الوصف المعجز ذات الحبك.[١٣]

فسبحان الذي أنزل هذا الوصف القرآني من فوق سبع سماوات، ومن قبل ألف وأربعمائة من السنين، أنزله بعلمه الشامل، الكامل، المحيط، ليصف بلفظة (الحبك) هذا الكم من صفات السماء، التي لم تعرف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرا لها غير الإله الخالق سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ[١٤]

يستهل ربنا تبارك وتعالى سورة البروج بقسم عظيم بثلاث من آياته أولاها قوله تعالى: وَالسَّمَاء دَات البروج وفي شرح دلالة هذا القسم القرآني تعددت رؤى المفسرين بين قائل بأن المقصود منه هو التنبيه إلى روعة خلق السماء، وإتقان صنعها، وحسن بهائها، وقائل بأن المقصود بالتنبيه إليه هو النجوم التي تنتشر فيها بتجمعاتها المبهرة، إلى قائل بأن المقصود بذلك هو منازل

---

[١٣] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الثالث، ٣٧٩-٣٨٥.

[١٤] البروج/٨٥: ١

الشمس والقمر عبر تلك النجوم، إلى جامع بين هذه الرؤى جميعا. ولما كان القسم في القرآن الكريم يأتي من أجل تنبيهنا إلى أهمية الأمر المقسوم به . لأن الله تعالى غني عن القسم لعباده . فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن مباشرة هو: ما هي تلك البروج التي في السماء، والتي أقسم الله تعالى بها، وسمى سورة من سور القرآن الكريم باسمها، وما هي أهميتها لاستقامة الحياة على الأرض.[١٥]

تحديد مواقع نجوم السماء نظرا لتعاظم أبعاد مواقع النجوم عنا كان لا بد من وضع نظام مساحي يمكن بواسطته تحديد تلك المواقع على القبة السماوية باستخدام مجموعة إحداثيات مشابهة لتلك الإحداثيات الموظفة في المساحة الأرضية، وذلك بإسقاطها على القبة السماوية، فكما أن هناك خط استواء للأرض، تم اقتراح خط استواء للقبة السماوية ينطبق على خط الاستواء الأرضي ويقع فوقه بارتفاع هائل، وكما أن هناك قطبين للأرض (شمالي وجنوبي) تم اقتراح قطبين مماثلين للقبة السماوية يقعان على امتداد محور دوران الأرض، وكما أن هناك خطوط طول وخطوط عرض

[١٥] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٨٣.

للأرض تبدأ من خط طول أساسي ومن خط الاستواء (على التوالي) تم اقتراح خطوط مماثلة للقبة السماوية، و بواسطة تلك الخطوط يمكن تحديد مواقع النجوم.[١٦]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت البروج في علوم الفلك هي تجمعات للنجوم البعيدة عنا، تصورها الناس منذ القدم على هيئة أشكال معينة كوسيلة من وسائل التعرف المبدئي عليها، والتمييز بينها، وأعطوا لهذه الأشكال اسماء محددة، تباينت من دولة لأخرى، ومن حضارة إلى حضارة، ولكنها أجمعت على تقسيم الحزام المحيط بوسط الكرة السماوية إلى اثنى عشر برجا بعدد شهور السنة (*Constellations zodiacal*) وهي تشكل شريطا ممتدا على جانبي خلفية مدار الأرض حول الشمس، بامتداد تسع درجات على كل من جانبيه، ويقسم إلى اثنتى عشرة منطقة أساسية بشغل كل منها حوالي ٣٠ درجة من درجات خطوط الطول السماوية بزيادة أو بنقص قليل في كل منطقة، وتمثل هذه البروج الخلفية النجمية التي تجرى عبرها المجموعة الشمسية على صفحة السماء خلال السنة الشمسية، وهذه البروج غير متساوية تماما في الطول ولا في تاريخ بداياتها، فبرج

---

[١٦] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٨٣.

الحمل مثلا لا يمثل نقطة بداية الاعتدال الربيعي التي تحدث حول الحادي والعشرين من مارس في كل عام.[١٧]

البروج (أو الكوكبات) هي تجمعات للنجوم، وقد فصل القرآن الكريم فوائد النجوم في كونها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وزينة للسماء الدنيا ، ورجوما للشياطين، ومصدرا من مصادر الرزق في السماء، وجندا مسخرة للامساك باطراف السماء الدنيا بما وهبها الله تعالى من قوى الترابط والتماسك والتجاذب وذلك على النحو التالي : (١) البروج كوسيلة للاهتداء في ظلمات البر والبحر (٢) البروج زينة السماء الدنيا (٣) البروج والنجوم والكواكب رجوما للشياطين (٤) البروج بنجومها جند مسخرة للإمساك بأطراف السماء الدنيا. إن البروج بنجومها وباقي أجرامها، والأجرام بمواقعها وكتلها جند مسخرة من قبل الله تعالى للإمساك بأطراف السماء الدنيا، على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصلها، فهي مرتبطة مع بعضها بالاتزان الدقيق بين قوي الجاذبية والقوى الطاردة المركزية ، على الرغم من تحركها بسرعات مذهلة في صفحة السماء، وفي حركات عديدة معقدة تشهد لله الخالق العظيم بطلاقة القدرة وبديع الصنعة من هنا تتضح بعض جوانب الأهمية الكبرى للبروج، والتي نبهنا ربنا تبارك وتعالى إليها بهذا القسم الجامع "و السماء ذات

[١٧] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٨٥.

البروج" وقد يرى القادمون في هذا القسم ما لا نراه نحن اليوم، حتى تظل هذه الإشارات الكونية في كتاب الله شاهدة له بالربانية الخالصة، وللرسول الخاتم الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، وبأنه صلى الله عليه وسلم ما كان ينطق عن الهوى.[١٨]

قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)[١٩]

ودون الشمس والقمر والنجم والمجرة هناك كائن آخر في السماء، وهو والكواكب والمذنب والنيزك الذي ينتشر في اي مكان في السماء. وقد يشاهد كونها في اليل، ولو كانت ظهورها غير واضح في البصر ليس كمثل كائن آخر. إن كانت الشمس و القمر و النجم و المجرة تشاهد دائمة في وقت متأكد، فليس كمثل الكواكب والمذنب والنيزك. هذه الأشياء المتأخرة ذكرها، هي تشاهد في أوقات متأكدة فقط.

والكواكب والمذنب والنيزك خلق الله، ذات وظيفة و منفعة. لأن هناك لا يوجد شيء عبث في خلق الله، غير كونها النادرة شهادتها. تلك الوظيفة و المصلحة لا تحسها فقط، بل الأشياء الأخرى تحسها أيضا. و أشيرت هذه الأجسام السماوية في سورة الطارق.

---

[١٨] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٨٧-٣٩٠.

[١٩] الطارق/٨٦: ١-٣.

كانت سورة الطارق بما في ذلك من سورة مكية آياتها ١٧، نزلت بعد سورة البلد. يستهل ربنا تبارك وتعالى سورة الطارق بقسم عظيم يقسم به سبحانه وهو الغني عن القسم بكل من السماء والطارق، الواضح من الآيات أن القسم جاء هنا بنجم خاص بذاته سماه ربنا تبارك وتعالى بالطّارق ووصفه بالنجم الثاقب.[٢٠]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت ينطبق الوصف القرآني بالطارق النجم الثاقب، على مصادر الإشعاع الراديون المميز بالسماء الدنيا، ومن أهمها النجوم النيوترونية شديدة التضاغط (*Theultra compact Neutronstars*) والمعروفة باسم النجوم النابضة(*Pulsating Stars*) أو النابضات أو النوابض (*Pulsars*) وهى نجوم ذات كثافة وجاذبية فائقة وحجم صغير ولذا فإنها تدور حول محورها بسرعات فائقة مطلقة كميات هائلة من الموجات الراديوية ؛ ولذا تعرف باسم النوابض الراديوية (*Pulsars Radio*)لأنها ترسل نبضات منتظمة من الأشعة الراديوية في كل جزء من الثانية أو في كل عدد قليل من الثواني حسب حجمها، وسرعة دورانها حول محورها.[٢١]

---

[٢٠]زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٩٩.

[٢١]زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٠٥.

في هذه الآيات أقسم الله تعالى بالسماء و الطارق و السماء في موضوع علم الفلك، يمكن فهمها بجسم وكيل للعالمين أو الأشياء هناك. في الحقيقة يمكن أن يفهم أن الأشياء هناك يعنى السماء و كل ماحولها هي الأجسام التي ذات المصلحة للمخلوقات غيرها. إذن تكن الأجسام من مخلوقات الله التي ذات المزية أيضا. جعل الله تعالى الطارق مقسما به دون السماء في الآية المتقدمة. هذه إشارة بأن تلك الأجسام ذات المزية و المصلحة للمخلوقات غيرها. وقال ابن كثير في تفسيره أنّه والنجم الثاقب قال قتادة وغيره: إنما سمي النجم طارقاً، لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار[٢٢].

وقال طنطاوي جوهري في تفسيره إنّ لفظ الطارق هو من يسلك الطريق ليلا أو نهارا ثم خصه العرف بمن ياتي ليلا ثم استعمل فيما يبدو ويظهر فيه أقسم الله بالسماء والنجم الظاهر بالليل.

ثمّ النجم الثاقب المضيئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه، ويثقب السماوات وينفذ فيها لأن السماوات كما تقدم هي عالم الأثير الذي أصبح الناس لا يدر يكون له أخراً، وقد قدمنا لك مراراً أن ارتفاعها لم يقف له الناس على حد، حتى إن الضوء الذي يجري جرياً سريعاً جداً يجري

---

[٢٢]عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الجزء الثامن (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ١٩٣.

في تلك السماوات مليون سنة ونصف مليون ويصل لنا ، هذا ما وصل إليه علماء الفلك إلى كتابة هذه السطور. أقسم الله بهذه السماء العظيمة وبالطارق أراد الله أن يعظم السماوات في أعين الخلق فأقسم بها ولقد ظهر نورها وحكمتها في هذا الزمان ، وأتى بالقسم الإعظام أمر النجوم والمراد بالطارق جنس النجوم فاعجب أليست النجوم الطوارق هي عينها البروج المذكورة في السورة قبلها أقسم الله بها [٢٣]

و نفس الشيء في تفسير طنطاوي جوهري الذي لا يدقق في تبيين اسم النجوم، ولكن يشير أن ذلك الكائن هو النجم الذي يضغط بالقوة و يبين أن الله قسم بالسماء و النجوم ليعلم اظهار عظيمة خلقته في اعين مخلوقه. وفي الاصل الطارق معناه هنا في هذه السورة هو المذنب، شيء في السماء الديه الذيل عنده نور قوي.

أن القسم في القرآن الكريم يأتي من أجل تنبيهنا إلى أهمية الأسر المقسوم به وإلى ضرورته الاستقامة الكون ومكوناته أو لاستقامة الحياة فيه، أو لكلهما معا وذلك لأن الله تعالى غني عن القسم لعباده، كما سبق وأن أشرنا وكررنا لمرات عديدة وعندي أن معنى الطارق النجم الثاقب لا

[٢٣] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء: الثالث عشر، ١٢٧.

يتجلى إلا بمعرفة دقيقة لطبيعة النجوم وأنواعها ومراحل تكونها، لأن ينجلي إلا بمعرفة دقيقة لطبيعة النجوم وأنواعها ومراحل تكونها، لأن هذه قضية علمية صرفة، وكطبيعة كل الإشارات الكونية في القرآن الكريم لا بد من توظيف المعارف العلمية لفهم دلالاتها حيث لا يمكن لتلك الدلالات أن تتضح في الإطار اللغوي وحده.

وإن في سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى تلك المراحل من حياة النجوم، والتي له يعرفها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرون العشرين لهو من الشهادات الناطقة بربانية القران الكريم وبنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى اله وصحبه أجمعين الذي تلقى هذا الوحي الخاتم من قبل ألف وأربعمائة من السنين بهذه الدقة العلمية المبهرة في مجتمع لم يكن له من العلم أن تصيب.

قوله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ.[٢٤]

والقسم هنا بالسماء وبصفة خاصة من صفاتها، وهي أنها ذات الرجع، وفي ذلك قال قدامى المفسرين : إن رجع السماء هو المطر، وإنه سمي رجعا لأن بخار الماء يرتفع أصلا من الأرض

[٢٤] الطارق: ١١

إلى السماء، حيث يتكثف ويعود إلى الأرض مطرا بإذن الله في عملية دائمة التكرار والإعادة، ولفظة الرجع هنا مستمدة من الفعل رجع بمعنى عاد و آب ولذا سمي المطر رجعا كما سمى أوبا. أن لفظة الرجع في هذه الآية الكريمة لها من الدلالات ما يفوق مجرد نزول المطر على أهميته القصوى لاستمرارية الحياة على الأرض مما جعل هذه الصفة من صفات السماء محلا القسم الخالق سبحانه وتعالى وهو الغنى عن القسم تعظيما لشأنها وتفخيما.[٢٥]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت إذا كان المقصود بالسماء ذات الرجع في سورة الطارق هو الغلاف الغازي للأرض بنطاق من نطاقاته (نطاق الطقس) أو بكل نطقه فإن دراسة ذلك الغلاف الغازي شاد أكدت لنا أن كثيرا ما يرتفع من الأرض إليه من مختلف صور المادة والطاقة. وإذا كان المقصود السماء ذات الرجع في هذه السورة المباركة هو كل السماء الدنيا التي زينها تبارك وتعالى بالنجوم والكواكب ، فإن علوم الفلك قد أكدت لنا أن كل أجرام السماء قد خلقها الله تعالى من الدخان الكوني دخان السماء الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم، التي يسميها القرآن الكريم عملية الفتق أو فتق الرتق. من صور رجع السماء هي (١) الرجع الاهتزازي للهواء (الاصوات وصدها) (٢) الرجع المائي (٣) الرجع الحراري إلى الأرض، وعنها إلى الفضاء

[٢٥] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤١٩.

بواسطة السحب (٤) رجع الغازات والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض (٥) رجع الأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون (٦) رجع الإشارات الراديوية بواسطة النطاق المتأين (٧) رجع الأشعة الكونية بواسطة كل من أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسي للأرض.[٢٦]

هذه الآية الكريمة التي جاءت في منتصف سورة الطارق هي من آيات القسم في القرآن الكريم، والقسم في كتاب الله يأتي من قبيل تنبيهنا إلى أهمية الأمر المقسوم به لأن الله تعالى غني عن القسم لعباده. ثم يتم دعم حقيقة القرآن من خلال حقيقة العلمية وآخر الاكتشافات في مجال علم الفلك المقصود من السماء في الآية الكريمة والسماء ذات الرجع هو الغلاف الغازي للأرض بمعنى عاد.

وقال طنطاوي جوهري في تفسيره إنّ هذه الآية شرحت وَالسَمَاء ذات الرجع به ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي كانت فيه وهكذا إذا جاء أجل هذه الكواكب فيها تبدل الأرض غير

[٢٦] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٢١-٤٢٥.

الأرض والسماوات غير السماوات وترجع عوالم جديدة لا نعلمها بنظم ثابتة وأيضاً تكون هناك دوائر هوائية ودوائر مائية كما تقدم على مقتضى دوران الكواكب.[٢٧]

إن من معاني الرجع هنا الارتداد أي إن من الصفات البارزة في سمائنا أنها ذات رجع أي ذات ارتداد بمعنى أن كثيرا ما يرتفع إليها من الأرض ترده إلى الأرض ثانية، وأن كثيرا ما يهبط عليها من أجزائها العلا يرتد ثانية منها إلى المصدر الذي هبط عليها منه، فالرجع صفة أساسية من صفات السماء أودعها فيها خالق الكون ومبدعه فلولاها ما استقامت على الأرض حياة، ومن هنا كان القسم القرآني بها تعظيما لشأنها، وتنبيها لنا لحكمة الخالق سبحانه وتعالى.

وهذه صورة مبهرة من صور الرجع التي لم يدركها العلماء إلا بعد اكتشاف دورة حياة النجوم في العقود المتأخرة من القرن العشرين، وسواء كان المقصود بالسماء ذات الرجع إحدى الصورتين السابقتين أو كلتيهما معا، فهو سبق قرآني مبهر بحقيقة كونية لم يدركها العلماء إلا منذ عشرات قليلة من السنين، وذلك بما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، ويشهد لخاتم الأنبياء

---

[٢٧] طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء: الثالث عشر، ١٢٨.

والمرسلين صلى الله عليه وسلم بأنه كان موصولا بالوحي، ومعلّما من قبل خالق السماوات والأرض.

٣. الشمس والقمر

قوله تعالى: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا[٢٨]

الشمس يقال للقرصة وللضوء المنتشر عنها.[٢٩] تعد الآية الأولى من سورة الشمس من الآيات الكونية والنفسية التي جاءت الإشارة إليها في هذه السورة المباركة وهي بذاتها تحتاج إلى معالجة خاصة ، ولذلك فسوف أقصر حديثي هنا عليها، حيث تحدثت عن الشمس أقرب نجوم السماء إلينا وأنفعها لنا، ونحن نعلم أن الآية القرآنية الكريمة حين ترد بصيغة القسم فهذا من قبيل تنبيهنا إلى أهمية الأمر المقسم به لأن الله تبارك وتعالى غنى عن القسم لعباده.[٣٠]

بين الشمس في علوم الفلك "الشمس " نجم متوسط الحجم من النجوم العادية يبعد عن الأرض بمسافة مائة وخمسين مليون كيلومتر في المتوسط، وهي على هيئة كرة من الغاز الملتهب يبلغ

---

[٢٨]الشمس/٩١: ١.

[٢٩]الراغب الأصفهاني، *معجم مفردات الفاظ القرآن* (بيروت: دار الفكر، د.ت)،س ٢٧٤.

[٣٠]زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٦٣.

قطرها ١,٤٠٠,٠٠٠ كيلو متر (أي ما يزيد على ١١٠ مرات قدر قطر الأرض)، ويبلغ حجمها، ١٤٢٠٠٠ تريليون كيلومتر مكعب (أي قدر حجم الأرض ١٣٠٠٠٠٠مرة) ويقدر متوسط كثافها بنحو ١,٤ جرام للسنتيمتر المكعب، وتقدر كتلتها بنحو ألفي تريليون تريليون طن (أي ٣,٠٠٠ ٣٣ مرة قدر كتلة الأرض)، وتقدر جاذبيتها بنحو ٢٨ ضعف قوة الجاذبية على سطح الأرض[٣١].

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت تتراوح المسافة بين الشمس والكواكب السيارة المرتبطة بها والدائرة في فلكها بين ٥٧ مليون كيلومتر وأكثر من ٦٠٠٠ مليون كيلو متر. وتختلف الظروف الطبيعية على الكواكب في مجموعتنا الشمسية تبعا لقربها من الشمس أو بعدها عنها، وتبعا لحجم كل منها، وبالتالى حجم الغلاف الغازى المحيط بها.[٣٢]

والكواكب تدور حول الشمس في أفلاك شبه دائرية في الاتجاه نفسه وهي في مساراتها تلك تختلف المسافة بين كل منها والشمس كما تختلف سرعة جرى الكوكب الواحد باختلاف بعده عن الشمس فتصل سرعة الكوكب أقصاها وهو أقرب مايكون من الشمس وتقل بالتدريج بابتعاده عنها

---

[٣١] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٦٣.

[٣٢] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٦٩.

حتى تصل سرعته أدناها وهو أبعد ما يكون عن الشمس. وحركات الكواكب حول الشمس يحكمها توازن دقيق بين قوتين متضادتين هما قوة جذب الشمس للكوكب والقوة الطاردة المركزية الناشئة عن دوران الكوكب حول الشمس، والتعادل الدقيق بين هاتين القوتين هو الذي حدد للكواكب أفلاكها الثابتة، وحدد جريها فيها، وحفظها من الانطلاق إلى فسحة الكون، أو السقوط في سعير الشمس. والكواكب في الوقت نفسه تتجاذب فيما بينها تجاذبا أقل من جذب الشمس لكل منها، مما يعين على احتفاظها بأبعادها الثابتة فيما بينها. والنهار والليل يتعاقبان على كل كواكب في مجموعتنا الشمسية، ويتم ذلك في مدد متفاوتة تفاوتا كبيرا لاعتماده على حجم الكوكب وكتلته، وسرعة دورانه حول محوره، وكذلك تتفاوت سنة كل كوكب بتفاوت بعده عن الشمس، ويتفاوت سرعة جرية في مداره حولها حتى يتم دورة كاملة. وبدوران الأرض حول محورها تتم الحركة الظاهرية لكل من الشمس والقمر والنجو و الكواكب التي تتراءى لنا عبر السماء، وتتابع الفصول على أرضنا بسبب ميل محور الأرض في دورانها حول الشمس.[٣٣]

مما سبق يتضح لنا جانب من جوانب أهمية الشمس تلك الآية الكونية البديعة التي تشهد لخالقها سبحانه وتعالى بطلاقة القدرة، وبديع الصنعة، وعظيم الحكمة وإحاطة العلم، ومن هنا كان

[٣٣] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٦٩-٤٧٠.

قسم الله تعالى بها وهو سبحانه غنى عن القسم وذلك من أجل تنبيهنا إلى تلك الأهمية القصوى للشمس، التي بدونها ما قامت الحياة على الأرض حتى لا نمر عليها ونحن غافلون عنها لأننا لو أدركنا أهميتها للحياة لأدركنا جانبا من جوانب العظمة المطلقة لخالقها الذي أبدعها وأبدع الكون كله في نظام بالغ الدقة والاحكام والتكامل مما يشهد له سبحانه وتعالى بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة فوق كل خلقه.[٣٤]

فسبحان الذي خلق الشمس كما خلق غيرها من أجرام الكون، وخلق الكون بكل ما فيه ومن فيه، وضبط حركات كل صغيرة وكبيرة فيه بعلمه وحكمته وقدرته وأحاط بكل ذلك علما، فأقسم بالشمس وضحاها من قبل ألف وأربعمائة سنة، في بيئة لم يكن لأحد من الخلق إدراك القيمة الأمر المقسم به ثم يأتي العلم الكسبي في أوج تقدمه مؤكدا عظمة القسم والمقسم عليه، وشاهدا بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق سبحانه وتعالى.

قوله تعالى: وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا[٣٥]

---

[٣٤] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٧١.

[٣٥] الشمس/٩١: ٢.

سبق أن ناقشنا الآية الأولى من هذه السورة المباركة، وتناقش الآن الآية الثانية منها، والتي يقسم فيها ربنا تبارك وتعالى وهو الغني عن القسم بقوله العزيز "والقمر إا تلاها" لنبين جانبا من جوانب القدرة الإلهية في إبداع خلق القمر، وفي قيمة هذا التابع الصغير للأرض في إنارتها بمجرد غياب الشمس، والسبق القرآني بالإشارة إلى موالاة القمر للشمس في غروبه وشروقه. القمر في علوم الفلك هو تابع صغير للأرض يبعد عنها بمسافة تقدر في المتوسط بحوالى ٣٨٤٤٠٠ كيلومتر، وهو علي هيئة شبه كرة من الصخر غير كاملة الاستدارة، إذ لها شكل البيضة التي تتجه بنهايتها الصغيرة تجاه الأرض، وتقدر كتلة القمر بحوالي ٧٣٥ مليون مليون مليون طن (أي حوالي ١/٨١ من كتلة الأرض)، ويقدر حجمه بحوالي ٢٢ مليون مليون كيلو متر مكعب (أي حوالي ١/٥٠ من حجم الأرض)، ويقدر متوسط كثافته بحوالى ٣،٣٤ جرامات للسنتيمتر المكعب (أي حوالي ثلثي متوسط كشافة الأرض)، ويقدر قطره بحوالى ٣٤٧٤ كيلومترا (أى حوالي ربع قطر الأرض تقريبا) وتقدر مساحة سطح بحوالي ٣٨ مليون كيلومتر مربع (أي حوالي ٧،٤٥ % من مساحة سطح الأرض) وتقدر جاذبيته بحوالي سدس جاذبية الأرض.[٣٦]

[٣٦] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٧٧-٤٧٨.

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت وللقمر عدد من الحركات الحقيقية والظاهرية، والتي يمكن إيجازها فيما يلي : أولا: الحركات الحقيقية للقمر (١) دورة القمر حول محوره، وتتم في كل شهر عربي دورة واحدة ينتصفه ليل لمدة أسبوعين ونهار لمدة أسبوعين تقريبا. (٢) دورة القمر حول الأرض، وتتم في ٢٩،٥ يوما بالنسبة للأرض (وفي ٢٧.٣ يوما بالنسبة للنجوم). (٣) دورة القمر مع الأرض حول الشمس بسرعة تقدر بنحو ٣٠ كيلومترا في الثانية ، وتتم في سنة شمسية مدتها اثنا عشر شهرا ينزل القمر فيها منازل الشمس الاثنتى عشر (شهرا بعد شهر). (٤) دورة القمر مع المجموعة الشمسية حول مركز مجرتنا (سكة التبانة أو درب اللبانة)، وتتم في حدود ٢٥٠ مليون سنة أرضية. (٥) دورة القمر مع المجرة ومع التجمعات الأكبر من ذلك بالتدريج حول مراكز متدرجة في الكون الفسيح إلى نهاية لا يعلمها إلا الله. ثانيا، الحركات الظاهرية للقمر (١) دورة القمر الظاهرية حول الأرض مرة في كل يوم، نتيجة لدوران الأرض حول محورها. (٢) دورة القمر الظاهرية في منازله التي بالسماء مرة كل شهر. (٣) دورة القمر السنوية، ووقوعه في برج من بروج السماء واحدا بعد الآخر.[٣٧]

[٣٧] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٨٣-٤٨٤.

وقد شاءت إرادة الله وحكمته البالغة ألا تظلم سماء الأرض إظلاما تاما بمجرد غياب الشمس الظاهري عن الأرض، فأبقى لنا القمر والنجوم تنير ظلمة ليل الأرض، فبمجرد غياب الشمس عنا يصلنا ضوؤها المنعكس من فوق سطح القمر نورا لا حرارة فيه، ويرى نور القمر في مراحله المتتالية، من الميلاد إلى المحاق، ونظرا لقربه من الأرض فإن أثره في إنارة ظلمة ليل الأرض أبلغ من أثر النجوم، حتى وهو مغطى بأقل مساحة من النور، وتصف هذه الآية الكريمة متابعة القمر للشمس في حركاتهما الظاهرية حول الأرض، وهي حقيقة لم تدرك إلا بعد نزول القرآن الكريم بقرون عديدة ، فسبحان الذي خلق القمر، وأنزل في محكم كتابه هذا القسم الإلهى بموالاة القمر لغروب الشمس.[٣٨]

٤. النهار والليل

قوله تعالى: وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣)

من أجل فهم الدلالة اللفظية للآية الكريمة التي نحن بصددها لا بد من شرح المعنى اللغوي للاسه (الهار) والفعل (جلاها)، و (النهار) لغة هو ضد الليل، وهو نصف اليوم الذي تشرق فيه

[٣٨] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٨٤.

الشمس، وينتشر النور و يعرف بالفترة الزمنية بين طلوع الشمس وغروبها وإن كان في الشريعة الإسلامية هو العترة الزمنية من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ويقال في العربية : (جلا)(يجلوا) (جلاء) بمعنى أوضح وكشف لأن أصل الجلو هو الكشف الظاهر، و(الجلى هو كل ما هو ضد الخفي.[٣٩]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت من الجوانب العلمية في هذا القسم القرآني: والنهار إذا جلاها، لأن الذي يجلى الشمس لعين الإنسان هو كثرة انعكاس الضوء الصادر منها إلى الأرض، وتشتته على الجسيمات الصلبة والسائلة والغازية الموجودة بتركيز معين في نطاق الجزء الأسفل من الغلاف الغازي للأرض.

أن الكون يغشاه الظلام الدامس في غالبية أجزائه، وأن طبقة النهار المنيرة عبارة عن حزام رقيق جدا لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق مستوى سطح البحر، يغلف نصف الأرض المواجه

[٣٩] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٨٩.

الشمس، ويتحرك على سطحها بمعدل دورانها حول محورها أمام الشمس، وأنه بمجرد تجاوز تلك الطبقة الرقيقة من نور النهار تبدو الشمس قرصا أزرق باهتا في صفحة سوداء حالكة السواد.[٤٠]

قوله تعالى: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا.[٤١]

فالليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق، تشهدان على دقة بناء الكون، وانتظام حركة الأرض حول محورها أمام الشمس، وعلى حكمة ميل هذا المحور من أجل تبادل الفصول المناخية على الأرض، في ظل تبادل الليل والنهار بانتظام دقيق، وإحكام بالغ.[٤٢]

التبادل المنتظم بين الليل المظلم والنهار المنير على نصفي الكرة الأرضية هو من الضرورات اللازمة لاستقامة الحياة على سطحها، فبهذا التبادل يتم التحكم في كل من درجات الحرارة، والرطوبة ، وكميات الضوء اللازمة لمختلف الأنشطة الحياتية من مثل التنفس والنتح، والتمثيل الضوئي، والأيض، وغيرها.[٤٣]

---

[٤٠] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٩٢ .

[٤١] الشمس/٩١: ٤

[٤٢] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٩٨.

[٤٣] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٤٩٨.

كثير في منفعة دوران اليل والنهار في حياة الانسان، ذلك بعض المنفعة على دوران الليل والنهار. وان الله سبحانه وتعالى يدبر كله لان الله علم كل شيء احوج الناس اليه في حياته.

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت والليل في الآيتين هو ليل السماء لأنه هو الذي يغشى الشمس ويظلم السماء أما ليل الأرض فلا علاقة له بإغشاء الشمس لأنه يمثل ظل نصف الأرض المواجه للشمس، وإن اتصل بظلمة السماء. فليل الأرض هو الفترة الزمنية من الإظلام التي تعتري نصف الأرض البعيد عن مواجهة الشمس وهو إظلام مؤقت متحرك مع حركة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، أما ليل السماء فهو إظلام دائم يبدو فيه موقع الشمس قرصا باهت الزرقة في صفحة سوداء حالكة السواد، وكذلك تبدو مواقع النجوم على هيئة نقاط متباعدة باهتة الزرقة في صفحة سوداء، والسبب في ذلك هو التناقص الشديد في كثافة المادة بين الكواكب وفيما بينها وبين الشمس.[٤٤]

من أجل ذلك كله ومن أجل تنبيهنا إلى عظيم أهميته، وإلى عميق دلالته على طلاقة القدرة الإلهية المبدعة لهذا الكون أقسم ربنا تبارك وتعالى وهو الغني عن القسم بالليل والنهار،

---

[٤٤]زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٥٠٢.

وبتبادلهما، وتعاقبهما، واختلافهما، وإيلاج كل منهما في الآخر، وإدبار أحدهما لاستقبال الآخر، وجعل كل منهما خلفة للآخر، وتقليبه على الآخر، وإغشاء أحدهما بالآخر، وطلب أحدهما للآخر وكلها إشارات ضمنية رقيقة إلى كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، وسبحها في مدارها حول هذا النجم العظيم، وعلى رقة طبقة النهار بالنسبة إلى الظلمة الشاملة للجزء المدرك من الكون.

وقال طنطاوي جوهري في تفسيره إنّ هذه الآية اي يستر الشمس فتظلم الآفاق، فالشمس بها يكون الضحى والنهار كله، وبها نور القمر والأرض حينما تجعل بدورانها الناس والحيوان في الجهة المقابلة للشمس يكون الإظلام. فالأرض تغشى الشمس وتحجبها . وهذا فيه مجاز عقلي لأن الذي يغشى إنّما هي الأرض، فأسند ذلك لليل الذي هو من آثار ذلك . ففي هذا بيانان: بيان أن ضوء القمر من الشمس، وأن الليل لم يحدث من الشمس لأنها دائماً مشرقة، وإنما حدث من دوران الأرض، فانظر كيف جعل القمر تالياً والأرض سائرة حتى حدث الليل.[٤٥]

[٤٥]طنطاوي جوهري، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الجزء: الثالث عشر، ١٩٢.

الذي يبين الليل باستعمال فعل المضارع، دل على ان الليل وقع مستمر. وهذه العلامة تشير الى اصل العالمين دائم على الظلمة ان كان بلا الشمس، قسم الله بدوران الليل والنهار بسبب دوران الشمس.

فلهذا في بعض الاماكن مواجحة الى الشمس في حال النهار وبعضها في نفس الوقت بعض الاماكن الاخر من وراء الشمس فبحال الليل.

من هنا يغشى ليل السماء الشمس كما يغشى ليل الأرض ويلتحم به، ومن هنا كانت هذه الإشارة المعجزة في سورة الشمس والتي يقسم فيها ربنا تبارك وتعالى وهو الغني عن القسم بالليل إذ يغشى الشمس، وهو هنا ليل السماء ؛ لأن ليل الأرض أبعد من أن يطول الشمس، وإن التحم مع ليل السماء.

هذه الحقائق لم تتوصل إليها العلوم المكتسبة إلا بعد زيادة الفضاء في منتصف الستينيات من القرن العشرين، وورودها في القرآن الكريم الذي أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة بهذه الدقة والإحاطة التي تؤكد ظلمة الكون في عدد غير قليل من الآيات، كما تؤكد رقة طبقة النهار ووضوح الشمس فيه، وتمايز كل من ليل الأرض وليل السماء، وتؤكد أن الذي يغشى الشمس هو ليل

السماء، وأن الذي يجليها هو نهار الأرض ، وتساوي بين ضحى الأرض وضحي السماء، وتجعل منهما شيئا واحدا، وتجمع بين ليل الأرض وليل السماء، وتجعل منهما شيئا متواصلا، كل ذلك آيات بينات لكل ذي بصيرة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق سبحانه وتعالى.

٥. التين

قوله تعالى: وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ.[٤٦]

من الإشارة الكونية من سورة التين (١) القسم بكل من التين والزيتون إشارة إلى ما فيهما من قيمة عذائية كبيرة، وتكامل في المحتوى كغذاء للإنساتن وإشارة كذلك إلى بركة منابتهما الأصلية، وهي من الأماكن المقدسة في الإسلام منذ خلق السماوات والأرض. (٢) القسم بطور سينين، وهو الجبل المكسور با الحضرة الذي كلم الله سبحانه وتعالى عبده ونبيه ورسوله موسى بن عمران من جانبه، وهو بالقطع مكان مبارك. (٣) القسم بالبلد الأمين وهو مكة المكرمة وحرمها

[٤٦] التين/٩٥: ١-٣.

الآمين، وبها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس، والعلوم المكتسبة تثبت شرف المكان وتميزه على جميع بقاع الأرض. [٤٧]

سورة التين هي السورة القرآنية الوحيدة التي سميت باسم مرة من ثمار الفاكهة، ومن الثمار النباتية على الإطلاق وقد ذكر فيها التين مرة واحدة، وهي المرة الوحيدة التي ذكر فيها التين في القرآن الكريم، بينما جاء ذكر كل من الزيتون وزيته في ست آيات قرآنية أخرى، وبذلك يكون التين قد ذكر في القرآن الكريم مرة واحدة بينما ذكر الزيتون وزيته سبع مرات.[٤٨]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية أن القسم بالتين جاء بها إلى ما في لتنبيهناهذه الثمرة المباركة من إعجاز في خلقها، ومن مانع جمة في تناولها كغذاء من إعجار الخلق في ثمرة التين: تمرة التين من مرة غير حقيقية مركبة، تكون نتيجة لنمو نور مخروطية الشكل تحوى بداخلها الأزهار المؤنثة التي تبطن جدار النورة من الداخل، والأزهار المذكرة التي تنتشر حول الفتحة الخارجية للنورة، وهي فتحة ضيقة في أعلى النورة، وتنضج الأزهار المؤنثة عادة قبل نضج الأزهار المذكرة ولذلك يسخر الخالق سبحانه وتعالى حشرة خاصية تعرف قد باسم ذات البلعوم المتفجر *(Blastophaga)* تقوم بتلقيح

---

[٤٧] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٥١٩.

[٤٨] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٥٢١.

نورات التين من خلال منفعة متبادلة بينهما، تقوم فيها نورات شجرة التين بتهيئة المكان الدافئ الأمين للحشرة تضع فيه بيضها حتى يفقس ثم تغذي صغارها حتى يكتمل نموها، وعند خروجها من النورة يحتك جسمها بالأزهار المذكرة فيتعفر بحبوب اللقاح التي تحملها الى الازهار المؤنثة، فتتم بذلك عملية الاخصاب اللازمة لإثمار شجرة التين. ويتكون على شجرة التين سنويا ثلاثة أجيال من النورات، الجيل الأول منها يحمل ازهارا مذكرة، وأخرى حاضنة للحشرات. وتحمل نورات الجيل الثانى ازهار مؤنثة فقط، تلقحها الحشرات الخارجة من نورات الجيل الأول فتخصبها، وبذلك تمثل الحصول الرئيسي لشجرة التين. أما نورات الجيل الثات تتحوت أزهارا حاضنة للحشرة المتعايشة معها فقط وفيها تقضى الحشرة فصل الشتاء فمن الذي وضع هذا النظام الرتيب لإثمار شجرة التين غير الله الخالق ومن الذي دل تلك الحشرة على مسكنها في نورة شجرة التين كي تخصبها بحركتها من نورة إلى أخرى غير الله الخالق والعلاقة بين نورة التين وهذه الحشرة تعتبر من أعجب العلاقات المعروفة لنا بين النبات والحيوان.[٤٩]

[٤٩] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٥٢١-٥٢٢.

ومن علماء التفسير السلف جمحورهم يفهمون اية القسم في سورة التين انها هو بلد معين كما في هذه الأية القسم في سورة التين يمكن ان يفسرها بفواكح العظيمة، ان من سره في كيفيو تخلقها الذي قد علمنا في كيفية خلقتها التي قد نظرنا في دراستنا العلمية الحقيقية.

وقال ابن كثير في تفسيره اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ هَاهُنَا عَلَى أَقْوَالٍ كَثِيرَةٍ فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالتِّينِ مَسْجِدُ دِمَشْقَ. وَقِيلَ: هِيَ نَفْسُهَا. وَقِيلَ: الْجَبَلُ الَّذِي عِنْدَهَا. وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: هُوَ مَسْجِدُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَرَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مَسْجِدُ نُوحٍ الَّذِي عَلَى الْجُودِيِّ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ تِينِكُمْ هَذَا.وَالزَّيْتُونِ قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَغَيْرُهُمْ: هُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ: هُوَ هَذَا الزَّيْتُونُ الَّذِي تَعْصِرُونَ.[٥٠]

ومن مذهب علماء التفسيرالسلف جمحورهم يفهمون اية القسم في سورة التين انها هو بلد معين كما في هذه الأية القسم في سورة التين يمكن ان يفسرها بفواكح العظيمة، ان من سره في كيفيو تخلقها الذي قد علمنا في كيفية خلقتها التي قد نظرنا في دراستنا العلمية الحقيقية .

[٥٠] عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، الجزء الثامن، ٤١٩.

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية وطورسنين شرحت وهو (طور سيناء) أو (جبل موسى) أو جبل المناجاة الذي أنزلت فيه التوراة على موسي عليه السلام، وقد ذكره ربنا تبارك وتعالى في اثنتى عشرة آية من آيات القرآن الكريم (البقرة / و٩٣، النساء ١٥٤، الأعراف ١٤٣و١٧١، مريم ٥٢, طه ٨٠، المؤمنون ٤٠، القصص ٢٩و٤٦، الطور/١،التين ٢)، وسميت باسمه إحدى سوره (سورة الطور)، وهو بالقطع مكان مبارك، جدير بالقسم به، ويبقى لعلماء الأرض دراسته لإثبات ما به من معجزات حسية باقية عن عملية دكه، ورفعه وتفه فوق الحثالات العاصية من بني إسرائيل، كما جاء في أكثر من آية من آيات القرآن الحكيم.[٥١]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية وهو مكة المكرمة، وبها الكعبة المشرفة، أول بيت وضع للناس، هي أول يابسة ظهرت على وجه مياه المحيط الغامر الذي بدأت به الأرض ثم نمت اليابسة من حول هذه البقعة المباركة لتكون قارة واحدة هي القارة الأم المعروفة باسم (بانجيا) التي تفتت إلى القارات الع الحالية، وكانت تلك القارات السبع أقرب إلى بعضها البعض ثم أخذت في الانزياح متباعدة عن بعضها البعض أو التصادم مع بعضها البعض حتى وصلت إلى أوضاعها الحالية، وقد

---

[٥١] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٥٢٥.

ثبت علميا توسط مكة من اليابسة في كل مراحل نمو تلك اليابسة، معنى أننا إذا رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة فانها تخيط باليابسة تماما.[٥٢]

وفي ثلاثة أيات الأولى من سورة التين ليس فقط ان فسها بأسماء الفاكحة ولكن يمكن ان يفسرها بأسماء الأماكن . و تلك الأماكن ليس أماكن عادية ولكن أماكن فيها سيرة النبي موسى، وعيسى و النبي محمد الذين أرسلوا للدعوة إلى الله. فقسم الله بهذه الأماكن الثلاثة ليؤكد ان الناس خلقه بأكمال خلقته..

هذه الحقائق العلمية عن كل من التين والزيتون وعن مكة المكرمة البلد الأمين والحقائق التاريخية والدينية عن نداء الله لعبده ونبيه موسى بن عمران عليه السلام من جانب النور الأيمن لم تكن معروفة لأهل الجزيرة العربية، ولا لأحد من الخلق في زمن الوحي من قبل الف وأربعمائة من السنين، ولا لقرون متطاولة من بعده، والقسم في سورة التين، مما يقطع بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق سبحانه وتعالى.

---

[٥٢] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٥٢٥.

ب. **القسم المنفي ب (لا)**

١. المشرق والمغرب

قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ.[٥٣]

المدلول العلمي للآية الكريمة بما أن المخاطبين بالقرآن الكريم هم أهل الأرض جميعا، فمن المنطقي أن يكون المقصود بالتعبير القرآني رب المشارق والمغارب هو مشارق الأرض ومغاربها ولكن بما أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما ، فإن دلالة الآية الكريمة تتسع لتشمل مشارق كل أجرام السماء ومغاربها، وعلى ذلك فلا بد من فهم دلالة الآية الكريمة في هذين الإطارين على النحو التالي: أولا، المشارق والمغارب بالنسبة الى الأرض (١) مشرق الأرض ومغربها (٢) مشارق الأرض ومغاربها (٣) مشرقا الأرض ومغاربها. ثانيا، المشارق والمغارب بالنسبة لباقي أجرام السماء.[٥٤]

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت ويتعامد على هذا الاتجاه يمينا شرق الأرض، ويسارا غربها، أي اتجاه الشرق الحقيقي والغرب الحقيقي بالنسبة للأرض كوكب، ويتضح من ذلك جانب

---

[٥٣] المعارج/٧٠: ٤٠.

[٥٤] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٢٠٥.

من جوانب الحكمة الإلهية المبدعة بخلق هذه العلاقة حتى يبقى النجم القطبي بمثابة البوصلة الكونية المعلقة في السماء الدنيا لإرشاد أهل الأرض إلى الإتجاهات الأربعة الأصلية.

من هذا الإستعراض يتضح تعدد المشارق والمغارب بتبادل الأيام والفصول على الموقع الواحد في كل سنة، وبتعدد المواقع على خط العرض الواحد مع تعدد خطوط الطول، وعلى خط الطول الواحد يتعدد خطوط العرض، وبتعدد كل ذلك تتعدد المشارق والمغارب تأكيدا على العديد من حقائق الأرض وحقائق أجرام السماء، وهي حقائق لم تدرك إلا في زمن العلم الذي نعيشه، فسبحان الذي أنزل القرآن الكريم بعلمه، على خاتم أنبيائه ورسله (صلى الله عليه وسلم).[٥٥]

٢. النجوم

النجوم كرات ضخمة من الغاز ذات حرارة شديدة وتضاء من خلال عملية الاندماج النووي، هذه العملية تحول بسرعة الهيدروجين إلى هليوم، وبذلك تتحرر كمية هائلة من الطاقة. على السطح، تصل درجة حرارة النجوم إلى عدة آلاف من الدرجات، في درجات الحرارة هذه لا يمكن أن تكون المادة موجودة بحالة صلبة أو سائلة، وإنما فقط بحالة غازية. غازات النجوم كثيفة

[٥٥] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٢٠٩.

جداً مقارنة بتلك الموجودة على الأرض، وتدعى حالتها بالبلازما يوجد كثافات عالية ناشئة عن الضغوط الهائلة الموجودة في داخل النجوم. تتحرك النجوم في الفضاء، لكن من الصعوبة بمكان ملاحظة هذه الحركة. وعادة لا يحدث تغير في وضعها النسبي يمكن الكشف عنه خلال سنة أو عدة آلاف من السنوات، باستثناء بعض النجوم المحدودة مثل نجم برنارد. إن النقص الظاهري في الحركة النجمية ناجم عن المسافات الكبيرة التي تفصلنا عن النجوم.[٥٦]

قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ.[٥٧]

في هاتين الآيتين الكريمتين يقسم ربنا تبارك وتعالى وهو الغنى عن القسم بمواقع النجوم ثم يأتي جواب القسم: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)

مواقع النجوم هي الأماكن التي تمر بها في جريها عبر السماء، وهي محتفظة بعلاقتها المهددة بغيرها من الأجرام في المجرة الواحدة، وبسرعات جريها ودورانها، وبالأبعاد الفاصلة بينها، وبقوي الجاذبية الرابطة بينها.

---

[٥٦] سائر بصمه جي، *علم الفلك للجميع* (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٧)، ٩.

[٥٧] الواقعة/٥٦: ٧٥-٧٦.

ثم يأتي القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة من السنين ليقسم بمواقع النجوم هذا القسم العظيم، مؤكداً نسبة تلك المواقع وأهميتها وتعاظمها، وأن الإنسان لا يمكن له رؤية النجوم من فوق الأرض ، وكل ما يمكن أن يراه هو مواقع مرت بها النجوم، وياتي العلم في نهاية القرن العشرين مؤكدا كل ذلك.

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت من أسباب القسم بمواقع النجوم ذلك ما يلي: أولا: أنه نظرا للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عنا، فإننا لا يمكن لنا رؤية النجوم من على سطح الأرض ابدا، ولا بأية وسيلة مادية وكل الذي نراه من نجوم االسماء هو مواقعها التي مرت بها ثم غادرتها. ثانيا، ثبت علميا أن الضوء مثل المادة ينحني أثناء مروره في مجال تجاذبى مثل الكون وعليه فإن موجات الضوء تتحرك في صحة السماء الدنيا في خطوط منحنية. مما يؤكد مرة أخرى أن الإنسان من فوق سطح الأرض لا يمكنه أن يرى النجوم أبدا.ثالثا، أن النجوم في داخل المجرة الواحدة مرتبطة مع بعضها بالجاذبية المتبادلة بينها، والتي تحكم مواقع النجوم وكتلها. رابعا، أثبتت دراسات الفلك، ودراسات كل من تافيزياء الفلكية والنظرية أن الزمان والمكان شيئان متواصلان، ومن هنا كانت مواقع النجوم المترامية الأبعاد تعكس أعمارها الموغلة في القدم، والتي

تؤكد أن الكون الذي نحيا فيه ليس أزليا، بل كانت له بداية يحددها الدارسون باثنى عشر بليونا من السنين على أقل تقدير، ومن هنا كان في القسم بمواقع النجوم إشارة إلى قدم الكون مع حدوثه، وهي حقائق لم يتوصل إليها العلم المكتسب إلا بنهاية القرن العشرين.[٥٨]

وهذا القسم القرآني العظيم بمواقع النجوم يشير إلى سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق الكون المبهرة، والتي تقول: إنّه نظرا للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عن أرضنا، فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبدا، ولكنّه يرى مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها، وعلى ذلك فهذه المواقع كلها نسبية، ليست مطلقة. ومن هنا كان هذا القسم القرآني بمواقع النجوم، وليس بالنجوم ذاتها على عظم قدر النجوم التي كشف العلم عنها أنها أفران كونية عجيبة يخلق الله تعالى لنا فيها كل صور المادة والطاقة التي ينبني منها هذا الكون المدرك.

قوله تعالى: فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ.[٥٩]

الخنس، الجوار الكنس في اللغة العربية أولا: الخنس، خنس: الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر، قالوا: الخنس الذهاب في خفية ، يقال : خنست عنه، وأخنست

---

[٥٨] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ١٢٨-١٣٠.

[٥٩] التكوير/٨١: ١٥-١٦.

عنه حقه. والخنس: النجوم تخنس في المغيب وقال قوم : سميت بذلك لأنها تختفي نهارا وتطلع ليلا، والخناس في صفة الشيطان ؛ لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى ومن هذا الباب الجنس في الأنف انحطاط القصبة، والبقر كلها خنس. ومعنى ذلك أن الخنس جمع خانس أي تختلف عن البصر، والفعل خنس بمعني استخفى وتستر، يقال : خنس الظبي إذا اختفى وتستر عن أعين المراقبين. والخنوس يأتي أيضا بمعنى التأخركما ياتي بمعنى الانقباض والاستخفاء. وخنس بفلان و تخنس به أي غاب به وأخنسه أي خلفه ومضى عنه.

ثانيا: لجوار أي الجارية في أفلاكها وهي جمع جارية من الجرى وهو المر السريع. ثالثا: الكنس اي (كنس) الكاف والنون والسين تشكل أصلين صحيحين، أحدهما يدل على سفر شيء عن وجه شيء وهو كشفه ، والأصل الآخر يدل على استخفاء، فالأول كنس البيت، وهو سفر التراب عن وجه أرضه، والمكنسة آلة الكنس، والكناسة ما يكنس. والأصل الآخر: الكناس: بيت الظبي، والكانس : الظبي يدخل كناسه، والكنس : الكواكب تكنس في بروجها كما تدخل الظباء في كناسها ، قال أبو عبيدة : تكنس في المغيب وقيل الكنس جمع كانس (أي قائم بالكنس) أو مختف، من كنس الظبي أي دخل كناسة ، وهو بيئة الذي يتخذه من أغصان الشجر، وسمى كذلك

لأنه يكنس الرمل حتى يصل إليه، وعندي أن الكنس هي صيغة منتهى الجموع للفظة كانس أي قائم بعملية الكنس، وجمعها كانسون، أو للفظة كناس، وجمعها كناسون، والكانس والكناس هو الذي يقوم بعملية الكنس أي سفر شيء عن وجد شيء آخر وإزالته.[٦٠]

في هذه الآية ينطبق انطباقا كاملا مع حقيقة كونية مبهرة تمثل مرحلة خطيرة من مراحل حياة النجوم يسميها علماء الفلك اليوم باسم الثقوب السود (*Holes Black*) وهذه الحقيقة لم تكتشف إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين وورودها في القرآن الكريم.

ولزغلول النجار أنّ هذه الآية شرحت وقد سميت تلك النجوم الخفية باسم الثقوب السود (*Black Holes*) بأنه أحد أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة، بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة ومنها الضوء أن تفلت من أسرها، ويحد الثقب الأسود سطحا يعرف باسم أفق الحدث (*The Event Horizon*) وكل ما يسقط داخل هذا الأفق لا يمكنه الخروج منه، أو إرسال أية إشارة عبر حدوده. لقدرتها الفائقة على ابتلاع كل ما تمر به أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة من مثل الغبار الكونى والغازات والأجرام السماوية

---

[٦٠] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٤٩-٣٥٠.

المختلفة، ووصفت بالسواد لأنها معتمة تماما لعدم قدرة الضوء على الإفلات من مجال جاذبيتها على الرغم من سرعته الفائقة المقدرة بحوالي ثلاثمائة ألف كيلومتر في الثانية (٤٥٨ ٢٩٩٧٩٢ كم/ ث).[٦١]

الله الذي خلق النجوم وقدر لها مراحل حياتها الذي أوصلها إلى مرحلة الثقب الأسود، وجعله من أسرار الكون المبهرة الله الذي أقسم بتلك النجوم المستترة، الحالكة السواد، الغارقة بالظلمة وجعل لها من الظواهر ما يعين الإنسان على إدراك وجودها على الرغم من تسترها واختفائها وسبحان الذي مكنها من كنس مادة السماء وابتلاعها وتكديسها ثم وصفها لنا من قبل أن نكتشفها بقرون متطاولة بهذا الوصف القرآني المعجز.

يفسر العديد من المقسم به في جملة تحتوي على قسم بالتفسيرات مختلفة. خاصة وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته فهناك العديد من التفسيرات المختلفة. لتفسير بنت الشاطئ قسمان القسم، الأوّل القسم بالواو عن المقسم به هو قياس.

---

[٦١] زغلول النجار، *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، الجزء: الرابع، ٣٥١.

قال بنت شاطئ في سورة الضحى وفي أكثر آيات القسم بالواو خلطوا بين الإعظام والحكمة في خلق المقسم به وما من شيء من مخلوقات الله لم يخلق لحكمة ظاهرة أو خفية. أما الإعظام فلا يهون القول به لمجرد بيان وجه الظاهر الحكمة في المقسم به.[٦٢] اطمأنت إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو، هو أن القسم بها يمكن أن يكون، والله أعلم، قد خرج عن أصل الوضع اللغوي في القسم التعظيم إلى معنى بياني على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له الحظ بلاغي. فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتا قويا إلى حسيات مدركة ليست موضع غرابة أو جدل،توط ئة إيضاحية لبيان معنويات أو غيبيات لاتدرك بالحس.[٦٣]

فالقسم بالواو في مثل (والضحى) غالبا أسلوب بلاغي لبيان المعاني بالمدركات الحسية. وما يُلمح فيه من الإعظام، إنما يُقصد به إلى قوة اللفت. واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي

---

[٦٢] بنت الشاطئ، *التفسير البياني للقرآن الكريم* (د.م: دار المعارف، د.ت)، ٢٥.

[٦٣] بنت الشاطئ، *التفسير البياني للقرآن الكريم*، ٢٥.

تناسب الموقف. وحين نتتبع أقسام القرآن في مثل آية الضحى، نجدها تأتى لافتة إلى صورة مادية مُدركة وواقع مشهود، توطئة بيانية لصورة أخرى معنوية مماثلة غير مشهودة ولامُدركة يمارى فيها.[٦٤]

وجمهور المفسرين يكتفون هنا بالقول أن (لا أقسم) معناها : أقسم ، زيدت لا للتأكيد: دون إشارة إلى المقتضى البياني للعدول عن (أقسم) إلى (لا أقسم) أو إيضاح وجه تأكيد القسم، بنقيضه وهو النفي. وسبقت الإشارة في لا أقسم إلى قول ذكره أبو حيان في تفسير الآية وهو أن (لا) هنا لنفي القسم لا لتأكيده لأن هذا البلد لا يقسم الله به وقد جاء أهله بأعمال توجب إحلال حرمته. يبدو أن القول بالني هنا وجه إليه أن القسم للتعظيم، فلما منع ظاهر السياق هنا أن يكون المقسم به موضع تعظيم قيل إن (لا) نافية وليست مؤكدة وقد هدى تدبر الظاهرة الأسلوبية إلى تأكيد القسم بني الحاجة إليه حين يكون فعل القسم مسنداً إلى الله تعالى .[٦٥] وتستهل السورة بالقسم بالواو والرأى السائد عند الأقدمين أن هذا القسم القرآني يحمل معنى التعظيم للمقسم به، قال ابن قيم الجوزية: وإقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته.[٦٦]

---

[٦٤] بنت الشاطئ، *التفسير البياني للقرآن الكريم*، ٢٥.

[٦٥] بنت الشاطئ، *التفسير البياني للقرآن الكريم*، ١٧٠.

[٦٦] ابن القيم الجوزية، *التبيان في أقسام القرآن*، ٣.

يحاول الكشف من العلماء المسلمين وغير المسلمين عن أي جوانب تجعل القرآن معجزة. معظمهم يحكمون أن معجزة القرآن تتكون أساسًا من ثلاثة جوانب رئيسية اللغة وأخبار الغيب والعلوم. من بين الجوانب الثلاثة تعد الجوانب اللغوية هي الجانب الأكثر أهمية لأنها تعتبر ذات قيمة أدبية لا مثيل لها. يتفق الخبراء على أن جمال اللغة وصياغة آيات القرآن رائعة للغاية. أحد جوانب اللغة المثيرة للدراسة من القرآن هي آيات القسم أو المعروف باسم أقسام القرآن.

في أدوار الأولى فهم المفسرون المتقدمون لفظ القسم باعتبارها تحذيرًا أو تأكيدًا للأحكام أو الأخبار التي كُتبت خلف جملة القسم ولكن بعد تقدم العلوم سريعًا من خلال مختلف الأبحاث والملاحظات المتعلقة بالفضاء ، خاصة بعد النصف الثاني في القرن العشرين الأخير كشفت لنا قليلا فقليلا عن بعض الحقائق المحددة للظواهر التي أكدها القسم في القرآن.

تساعد على فتح الأفق جديدة للتفكير للبدء في التفكير في عظمة خلق الله، وخاصة الإشارات العلمية على آيات اليمين. بشكل عام ، كل الظواهر التي أكدها الله مع جملة قسمه في القرآن ، هي ظواهر قوية وحيوية للغاية في حياة الكون بما في ذلك البشر فيها. لقد كان هذا مصدر

قلق للعلماء من قبل حتى الآن وخاصة في مجالات علم الفلك والبيولوجيا والطب والآثار وما إلى ذلك.

٢. من أنواع لزغلول النّجار في تفسير آيات القسم بالكونيات

تفسير زغلول النجار نموذج الأنماط للتفسير عقلاني في تفسير آيات الكونية وخاصة في آيات القسم مع مخلوقات تسمى التفسير العلمي وهي التفسير الذي يعرض الحقائق العلمية. هذا دليل دامغ للخبراء العلميين في العصر الحالي على أن القرآن هو في الحقيقة كلمة الله التي تدعو للبشرية منذ أن تم الكشف عنها لأول مرة بحيث تستند إلى أساس متين. وفقًا لزغلول لا يُسمح لنا إلا بإثبات المعجزات العلمية للقرآن من خلال الاستفادة من الحقائق وقوانين العلوم التي لا تزال دون تغيير على الرغم من أنه من الممكن إضافة هذا الجوهر وتعزيزه في المستقبل. ينطبق هذا الحكم عمومًا على آيات الكونية الواردة في القرآن ، باستثناء آيات الخلق المرتبطة بالكون والحياة والبشر.

زغلول ذو قواعد في التفاعل مع المعجزات العلمية للقرآن والحديث: أولاً، تجنب التفسيرات المتعلقة بأشياء خارقة للطبيعة ذات الله سبحانه وتعالى الأرسى والروح والملائكة والجنة الجحيم وغيرها من الأشياء الخارقة للطبيعة المطلقة بما في ذلك الآيات خلق الآية كلاهما مرتبط

بالكون والحياة والبشر أنه وفقًا لزغلول فإن عملية "الخلق" (الخلق) هي عملية خارقة للطبيعة ومطلقة لأن لا إنسان يشهد على هذا الحدث العظيم وبالتالي لا يمكن الخضوع له حواس الإنسان ولكن مع التفكير في مثل هذه العملية لا يزال القرآن يشجع البشر على إنشاء بشر في عدد من الآيات وثانياً ، تجنب تشبيه الحياة الآخرة بأحكام العالم لأن الآخرة لها قوانين وقواعد مختلفة عن حياة العالم.

في هذا الموقف يقدم العلماء المسلمون تعليمات من الله سبحانه وتعالى الواردة في آيات القرآن الكريم أو الحديث النبوي. يمكن أن يساعد الإرشاد الذي قدمه الله العلماء المسلمين على الارتقاء بأحد نظريات وافتراضات العلوم إلى مستوى الطبيعة العلمية ليس لأن العلم التطبيقي يحددها بل لأن هناك علامات على الطبيعة العلمية في القرآن والحديث وهذا يعني أننا فزنا المعرفة بمعلومات من القرآن أو السنة وليس العكس تفوز القرآن بمساعدة المعرفة. هنا تكمن التفرد وامتياز نظرية الاعجاز التي اقترحها زغلول.

على الرغم من أنه جيولوجي فإن الآيات التي أثارها لم تقتصر على الجيولوجيا. يمكننا قراءة هذا من محتويات التفسير والمعرفة المتعلقة بالكون الصغير والكلي لا تفلت من آرائها مثل

الوراثة علم الأجنة وعلم النبات وعلم البيئة وغيره أنّ هذا التفسير هو أحدث تفسير علمي أشمل يحتوي على الاكتشافات العلمية. عند زغلول النجار بتفسير بعض الآيات ولم ينظر من نظر الكلاسيكي فحسب بل تضمن أيضًا أدلة على الفترة التي كانت دليلًا على العلم كدليل على التجديف. يمكن أن يكون هذا التفسير تفسيرًا بديلاً للكشف عن تعليمات القرآن والإجابة على المشكلات المتعلقة بالعلوم. هذا يمكن أن يكون في الوقت نفسه دليلاً على أن القرآن الكريم يتماشى مع تطور العلم.